سلسلة الأعلام

العلماء

تأليف: محمد عبد الظاهر المطارقى
رسوم: عطية الزهيرى
جرافيك: شريف محمد



١١ شارع الطوبجى - بين السرايات - الجيزة
تليفاكس: ٧٤٩٣٦٨٥
Site : www.ynabeea.com


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم
مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن
يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾



الْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَالأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا هَذَا الْعِلْمَ. وَالْعُلَمَاءُ هُمْ حُجَّةُ اللهِ فِي الأَرْضِ عَلَى النَّاسِ، وَهُمُ الْمُؤْتَمَنُونَ عَلَى الدِّينِ وَمَصَالِحِ الأُمَّةِ، وَهُمْ أَيْضًا أَئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْلُ: ٣٤].

وَالْعُلَمَاءُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [الْمُجَادَلَةُ:١١].

وَالْعُلَمَاءُ هُمْ أَزْكَى النَّاسِ، وَأَخْشَاهُمْ لِلَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطِرُ: ٢٨]. كَمَا أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَقَرَنَ شَهَادَتَهُمْ بِشَهَادَتِهِ - سُبْحَانَهُ وَبِشَهَادَةِ مَلائِكَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٨].

وَالْعُلَمَاءُ لا يَخْلُو زَمَانٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، فَهُمْ عَلَى رَأْسِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. يَقُولُ ﷺ: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ ».

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ نَتَعَرَّفُ عَلَى حَيَاةِ خَمْسَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ كَانَ لَهُمْ قَدَمُ السَّبْقِ فِي الْعِلْمِ، وَنَالُوا مَنْزِلَةً خَاصَّةً بَيْنَ الصَّحَابَةِ بِهَذَا الْعِلْمِ، وَكَانُوا الأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

إمام العلماء
معاذ بن جبل

قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا، وَلَقَدْ كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذًا بِإبْرَاهِيمَ عليه السلام.

❖❖❖

مَا كَادَ الظّلامُ يُسدِلُ سَتَائِرَهُ الكَثِيْفَةَ، حَتَّى بَدَأَ القَوْمُ يَتَسَلَّلُونَ مِنْ رِحَالِهِمْ، الوَاحِدُ تِلوَ الآخَرِ، مُسْتَخْفِيْنَ مِنْ قَوْمِهِم حَتَّى اجتَمَعُوا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ العَقَبَةِ. هُم ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً وَامْرَأتَانِ.. حِزْمَةٌ وَاحِدَةٌ رَاحَتْ تَنْتَظِرُ مَجِيءَ النَّبِيِّ ﷺ لِيُبَايِعُوهُ البَيْعَةَ الثَّانِيَةَ.

وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَبِصُحْبَتِهِ عَمُّهُ العَبَّاسُ، وَالذِي لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْد، وَرَاحَ يُخَاطِبُ الجَمْعَ قَائِلاً: "يَا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ، إنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيْهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إلا الانْحِيَازَ إِلَيْكُم واللُّحُوق بِكُم، فَإِنْ كُنْتُم تَرَونَ أَنَّكُم وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعُوتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُم وَمَا تَحَمَّلْتُم مِنْ ذَلِكَ. وَإنْ كُنْتُم تَرَوْنَ أَنَّكُم مُسَلِّمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُم، فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ".. مَا كَادَ العَبَّاسَ يَفْرُغُ مِنْ كَلِمَتِهِ حَتَّى أَسْرَعَ القَومُ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الكَلامَ، قَائِلِيْنَ لَهُ: تَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.



انبَرَى جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَائِلاً: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلامَ نُبَايِعُكَ؟

قَالَ ﷺ: "عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ والكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُومُوا فِي اللهِ، لا تَأْخُذُكُم فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ إِلَيْكُم، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُم وَأَزْوَاجَكُم وَأَبنَاءَكُم، وَلَكُمُ الجَنَّةُ".

فَأَخَذَ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ نَبِيًّا لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ الحَرْبِ وَأَهْلُ الحَلَقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

هُنَا اعْتَرَضَ أَبُو الهَيْثَمِ بنُ التَيْهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي اليَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ؟

ابْتَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، الهَدْمَ الهَدْمَ.. أَنَا مِنْكُم وَأَنْتُم مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُم، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُم".

وابْتَدَأَتِ البَيْعَةُ، فَقَامَ الرِّجَالُ يُصَافِحُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَشْهَدُوْنَ شَهَادَةَ الحَقِّ، وَيُقِرُّوْنَ البَيْعَةَ.



فِي هَذِهِ اللحَظَاتِ، امْتَدَّتْ يَدٌ لِفَتًى وَضِيءٍ، بَدِيْعِ الصُّورَةِ، مُتَّسِقِ المَلامِحِ، بَسَّامِ الثَّنَايَا، لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.. امْتَدَّتْ يَدُهُ الفَتِيَّةُ بَيْنَ آيَادِي الرِّجَالِ التِي كَانَتْ تَتَسَابَقُ لِتَحْتَضِنَ اليَدَ الطَّاهِرَةَ، وَتُعْلِنَ تَقَبُّلَهَا لِلْبَيْعَةِ، وَتَمَسُّكَهَا بِبُنُودِهَا التِي أَعْلَنَهَا النَّبِيُّ ﷺ.

إِنَّهُ الصَّحَابِيُّ صَغِيْرُ السِّنِّ، الذِي اسْتَطَاعَ بِعِلْمِهِ وَزُهْدِهِ وَتَقْوَاهُ أَنْ يُنَاطِحَ الجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ! أَلَمْ يُصْبِحْ هُوَ نَفْسُهُ جَبَلاً شَامِخًا مَتِيْنَ البُنْيَانِ، غَزِيْرَ المَعْرِفَةِ، حَتَّى زَكَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَهُ مِنْ الفُقَهَاءِ الخَمْسَةِ بِالمَدِيْنَةِ؟ أَلا يَكْفِيْهِ فَخْرًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ قَائِلاً: "أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالحَلالِ والحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ"؟ وَلِمَ لا وَهُو الّذِي تَرَبَّى عَلَى يَدِ المُعَلِّمِ الأَوَّلِ، مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَقَى العِلْمَ مِنْ يَنْبُوعِهِ الأَصِيْلِ؟!

وَحَسْبُهُ فَضْلاً عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ النَّفَرِ السِّتَّةِ الذِيْنَ جَمَعُوا القُرآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ .

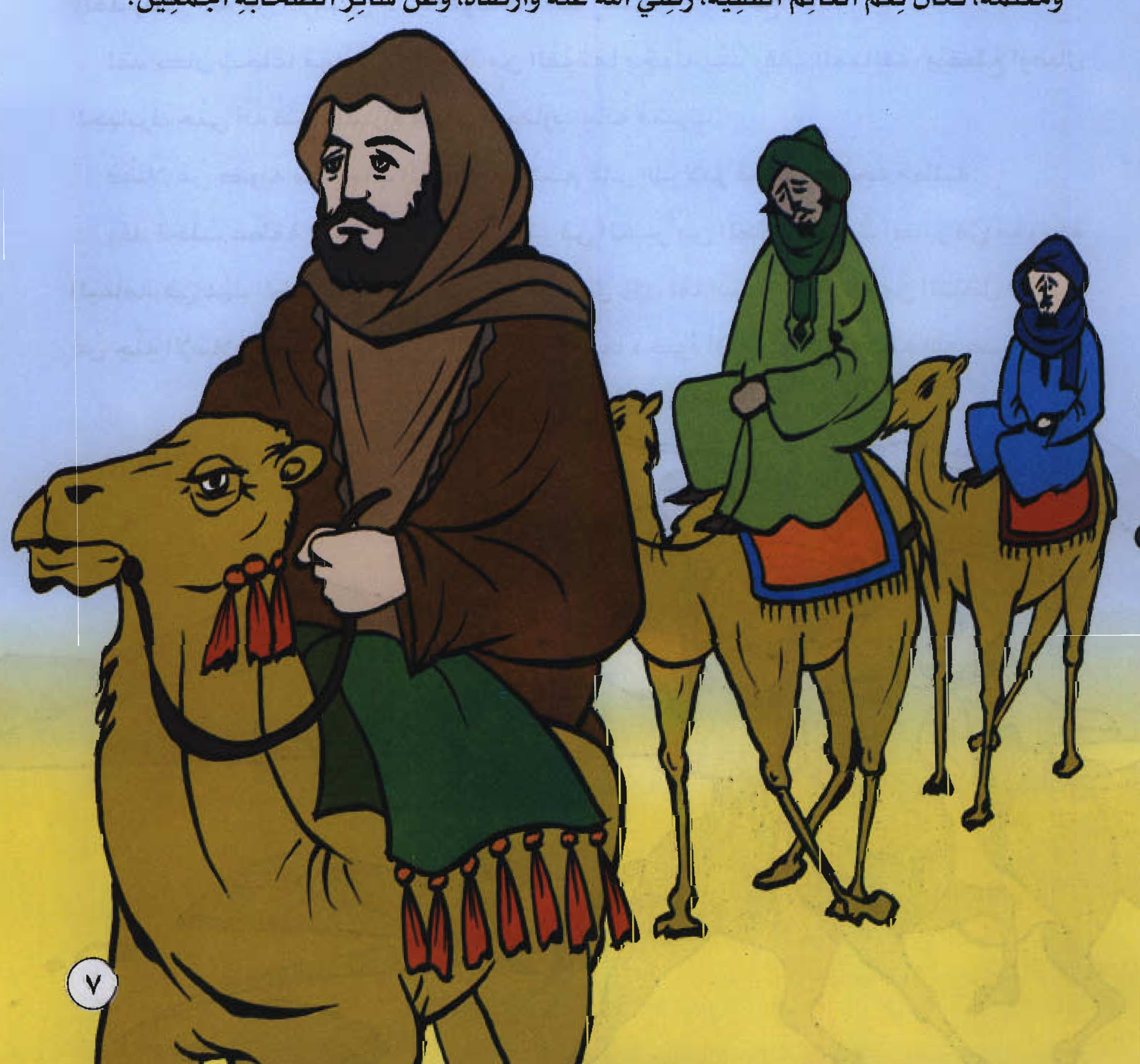
لَمَّا انْتَشَرَ الإِسْلامُ فِي رُبُوْعِ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَبَدَأَتْ تَهِلُّ الوفُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي المَدِيْنَةِ، كَانَ ضِمْنَ هَذِهِ الوفُودِ "رُسُلُ مُلُوكِ اليَمَنِ"، الذِيْنَ جَاءوا لِيُعْلِنُوا إِسْلامَهُم، وَإِسْلامَ مَنْ وَرَاءَهُم، ثُمَّ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُم مَنْ يُعَلِّمُهُم دِيْنَ اللهِ. وَكَانَ التَّكْلِيْفُ النَّبَوِيُّ إِلَى هَذَا الصَّحَابِيِّ الفَقِيْهِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِم، وَيُعَلِّمَهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ.



سَأَلَهُ الرّسُولُ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى اليَمَنِ: "بِمَاذا تَقْضِي يَا مُعَاذُ؟"، فَأَجَابَهُ قَائِلاً: بِكَتَابِ اللهِ. فَقَالَ ﷺ: "فَإِن لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟"، فَأَجَابَ: أَقْضِي بِسنَّةِ رَسُولِهِ. قَالَ لَهُ الرّسُولُ ﷺ: "فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ؟" قَالَ مُعَاذٌ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو.

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ الرّسُولِ ﷺ وَقَالَ: "الحَمْدُ للهِ الّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ". ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أَنْ أَوْصَاهُ: "عَسَى أَلا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ تَمُرُّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي!!". فَلَمْ يَتَمَالَكِ التِّلمِيْذُ النّجِيْبُ نَفْسَهُ، فَأَجْهَشَ بِالبُكَاءِ جَزَعًا لِفُرَاقِ سَيِّدِهِ وَأُسْتَاذِهِ ﷺ.

وَهَذَا مَا حَدَثَ بِالفِعْلِ، فَإِنَّ الصّحابِيَّ الجَلِيْلَ لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى بِرُؤْيَةِ النّبِيِّ ﷺ حِيْنَ عَادَ لِلمَدِيْنَةِ، فَعَادَ أَدْرَاجَهُ إِلَى اليَمَنِ، وَظَلَّ يَعْمَلُ عَلَى تَعْلِيمِ النّاسِ كَمَا أَمَرَهُ أُستَاذُهُ وَمُعَلِّمُهُ، فَكَانَ نِعْمَ العَالِمُ الفَقِيْهُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَعَنْ سَائِرِ الصّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ.





قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ" [الترمذي].

إِنَّهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ الأَخْيَارِ. لازَمَ النَّبِيَّ ﷺ مُنْذُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَلَمْ تَفُتْهُ مَعْرَكَةٌ وَاحِدَةٌ قَطُّ، وَهُو مَنْ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ بَيْعَةَ المَوتِ، تَحْتَ شَجَرَةِ الرّضوَانِ، وَنَزَلَ فِيهِ وَفِي أَصحَابِ النَّبِيِّ الذِينَ بَايَعُوهُ تِلْكُمُ البَيعَةَ المُبَارَكَةَ، آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى رِضَا ربّنَا عَنهُم، وَوَعْدَهُ لَهُم بالجَنَّةِ، يَقُوْلُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفَتح: ١٨].

لقَدْ كَانَ شُجَاعًا مُهَابًا، قَدْ أَعْطَاهُ مِنَ القُوَّةِ مَا يَجْعَلُهُ يَهُدُّ رِقَابَ العَمَالِقَةِ، وَيَقْطَعُ أَوْصَالَ الجَبَابِرَةِ، حَتَّى أَنَّهُ قَتَلَ بِالمُبَارَزَةِ فَقَط مَا يُقَارِبُ مِائَةَ مُشْرِكٍ.

فَضْلاً عَنْ كَونِهِ مُستَجَابَ الدّعوَةِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّ قَسَمَهَ، وَمَنَحهُ مَطْلَبَهُ.

وَقَدْ تَجَلَّتْ عَظَمَةُ البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ ﷺ فِي الكَثِيرِ مِنَ المَعَارِكِ، وَبَرزَتْ أَكْثَرَ فِي مَعْرَكَةِ اليَمَامَةِ، فِي عَهْدِ الخَلِيْفَةِ الرَّاشِدِ، أَبِي بَكْرٍ الصّدِّيقِ ﷺ لَمَّا انْسَلَخَتِ الكَثِيْرُ مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ عَنْ جَنَّةِ الإِسْلامِ، فَخَرَجُوا مِنْ دِيْنِ اللهِ أفوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا، إِلا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الحَقِّ.

جَمَعَ أبو بَكرٍ الصّدّيْقُ الجُيُوشَ الإسلامِيَّةَ وَأطلَقَهَا فِي أنْحَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَانَتْ مَا يَقرُبُ مِنْ أحَدَ عَشَرَ جَيْشًا، فَعَقَدَ لِكُلِّ جَيْشٍ لِوَاءَهُ، وَعَيَّنَ قَائِدَهُ، ثُمَّ وَجَّهَهُ إِلَى هَؤلاءِ المُرْتَدّيْنَ.

وَكَانَ الشّيطَانُ الأعْظَمُ مُسَيلَمَةُ - مُدَّعِي النّبُوَّةِ - أَكثَرَ مَا أقْلَقَ الصّدّيق، فَقَدْ تَجَمَّعَ حَوْلَهُ مِنْ أتبَاعِهِ مَا يُقارِبُ أرْبَعِيْنَ ألْفَ سَيْفٍ، يَلتَفُّوْنَ مِنْ حَوْلِهِ وَهُم يَعْلَمُونَ كَذِبَهُ، لِكِنَّ العَصَبِيَّةَ هِيَ التِي دَفَعَتْهُمْ لِمُسَانَدَتِهِ والخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ الإسْلامِ.

لَقَدْ كَانَ البَعْضُ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ كَذَّابٌ، وَمُحَمَّدًا صَادِقٌ، لَكِنَّ كَذَّابَ رَبِيْعَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقِ مُضَرٍ!!

تَحَرَّكَ قَادَةُ الجيُوشِ، وَتَوَجَّهَ عِكْرِمَةُ بنُ أبِي جَهْلٍ ﷺ إِلَى جَيْشِ مُسَيْلَمَةَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الصُّمُودَ طَوِيْلًا؛ إِذْ كَانَ هَؤلاءِ المُرْتَدُّوْنَ يُحَارِبُونَ بِكُلِّ ضَرَاوَةٍ وَوَحشِيَّةٍ، فَتَرَاجَعَ عِكرِمَةُ لِيَتَقَدَّمَ الجَيْشَ بَدَلًا مِنْهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ، وَمَا كَادَ خَالِدٌ يَسْتَأنِفُ المَعْرَكَةَ، حَتّى انقَضَّ هَؤلاءِ الطَّوَاغِيْتُ بِكُلِّ قَسْوَةٍ يَحْمِلُونَ عَلَى جَيْشِ المُسْلِمِينَ حَمْلَةً قَاضِيَةً، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى فُسْطَاطِ خَالِدٍ، وَكَادُوا يَأسِرُونَ زَوجَتَهُ!



فَكَّرَ خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ، فَوَجدَ أنْ يُعِيْدَ تَنْظِيْمَ الجَيشِ مَرَّةً أُخرَى، فَجَعَلَ المُهَاجِرِينَ جَمِيْعَهُمْ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ، والأَنْصَارَ كَذلَكَ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ. وَقَدْ جَمَعَ القَبَائِلَ، وَجَعَلَ كُلَّ جُنْدِيٍّ مَعَ قَبِيلَتِهِ التِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا؛ حتَّى يَثْبُتَ الجَمِيْعُ ولا يُفكِّرَ أحَدٌ فِي التَّرَاجُعِ، ثمَّ أمَرَ بالهُجُومِ، فَقَامَ الجَيْشُ بِهَجْمَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، حَتّى دَفَعُوا بِجَيْشِ مُسَيْلَمَةَ للاخْتِبَاءِ فِي الحَدِيْقَةِ والاحْتِمَاءِ بِهَا، وَقَدْ كَانَتْ شَاسِعَةً، وَلَهَا أَسْوَارٌ ضَخْمَةٌ وَعَالِيَةٌ، فاحتَمَوا بِهَا، وَرَاحُوا يُطلِقُونَ السِّهَامَ عَلَى المُسْلِمِيْنَ، حَتّى كَانَتْ كَالمَطَرِ النّازِلِ مِنْ كَثْرتِهَا.

هُنَا ظَهَرَ البَطَلُ الشُّجَاعُ "البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ" رضي الله عنه وهُو لا يَخشَى المَوتَ أبدًا، بَلْ يَسعَى إليْهِ، ويَبْحَثُ عنْهُ.

قالَ لَهُم: يَا قَوْمُ، ضَعُونِي عَلَى تِرْسٍ، وارفَعُوا التِّرْسَ عَلَى الرِّمَاحِ، ثمَّ اقْذفُونِي إِلى الحَدِيْقَةِ قَرِيْبًا منْ بَابِهَا، فَإِمَّا أنْ اسْتَشْهَدَ، وَإما أنْ أفتَحَ لكُم البَابَ.. أيُّ شَجَاعةٍ تِلْكَ، وَأيُّ قَلْبٍ هَذَا؟

وَبِالفِعْلِ حَمَلُوهُ عَلَى تِرْسٍ كَمَا أَرَادَ.. عَشَرَاتُ الأَسِنَّةِ كَانَتْ تَرْفَعُهُ.. وَفِي لَحظَاتٍ سَرِيْعَةٍ قَذفُوا بِهِ دَاخِلَ الحَدِيْقَةِ، فَكَانَتْ مُفَاجَأةً مُذْهِلَةً.. أَمْسَكَ بِالسَّيفِ، وَرَاحَ يُقَاتِلُ بِمُفْرَدِهِ دَاخِلَ الحَدِيْقَةِ، حَتّى قَتَلَ أكْثَرَ مِنْ عِشْرِيْنَ رَجُلاً، إلَى أَنْ وَصَلَ قُرْبَ البَابِ فَفَتَحَهُ، فَإِذَا بِطُوفَانٍ مِنْ المُسْلِمِيْنَ يَدْخُلُونَ الحَدِيْقَةَ لِيُعْمِلُوا سُيُوفَهُم فِي هَؤلاءِ العُتَاةِ الطُّغَاةِ.

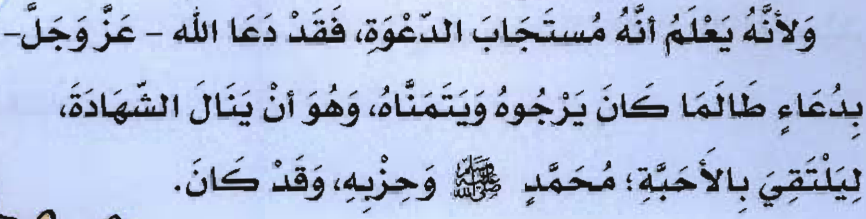


وانتَهَى أمْرُ مُسَيْلَمَةَ تَحْتَ سَنَابِكِ الخُيُولِ، بَعْدَ أنْ رَمَاهُ بالرُّمْحِ الصّحَابِيُّ الجَلِيْلُ وَحْشِيُّ ابنُ حَرْبٍ، الذِي قَتَلَ بِنَفْسِ الحَرْبَةِ سَيِّدَ الشُّهداءِ حَمْزَةَ، فَكَانَ يَقُولُ: قَتَلْتُ بِحَرْبَتِي هَذِهِ خَيْرَ النّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمّ قَتَلتُ بِهَا شَرَّ النّاسِ أيْضًا.

أمّا البَرَاءُ رضي الله عنه فإنّهُ قَدْ أُصِيْبَ بِعَشَرَاتِ الجُرُوحِ، مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، أوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، حَتّى أوْشَكَ عَلَى الهَلاكِ. وَقَدْ قَامَ عَلَى عِلاجِهِ بِنَفْسِهِ القَائِدُ المُظَفّرُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدُ، حَتَّى شُفِيَ بَعْدَ شَهْرٍ كَامِلٍ لِيَسْتأنِفَ رِحْلَةَ الجِهَادِ مَرّةً أُخْرَى.

وَفِي إحْدَى الحُرُوبِ فِي العِرَاقِ، لَجأَ الفُرْسُ إلَى كَلالِيْبَ مُثَبّتَةٍ فِي أطْرَافِ السَلاسِلِ المُحْمَاةِ بالنّارِ، يُلقُونَهَا مِنْ حُصُونِهِم، فَتَخطَفُ مَنْ تَنَالُهُ مِنَ المُسلِمِينَ الذِيْنَ لا يَستَطِيعُونَ مِنهَا فِكَاكًا، وَسَقَطَ أحَدُ هَذِه الكَلالِيبِ فَجْأةً، فَتَعَلّقَ بِهِ أنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أنَسٌ أنْ يَمَسَّ السّلْسِلَةَ لِيُخَلّصَ نَفْسَهُ، إذْ كَانَتْ تَتَوهّجُ نَارًا.

أبْصَرَ الصّحَابِيُّ الشُّجَاعُ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ المَشْهَدَ، فَأسْرَعَ نَحْوَ أخِيهِ الذِي تَجْذِبُهُ السّلسِلَةُ، وَتَصعَدُ بِهِ عَلَى سَطْحِ الجِدَارِ، وَقَبَضَ عَلَى السّلسِلَةِ بِيَدَيْهِ، وَرَاحَ يُعَالِجُهَا فِي بَأسٍ شَدِيْدٍ حَتى قَطَعَهَا، وَنَجا أنَسٌ رضي الله عنه وَألْقَى البَرَاءُ وَمَنْ مَعَهُ نَظْرَةً عَلَى كَفَّيْهِ، فَلَمْ يَجِدُوهُمَا مَكَانَهُمَا. لَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَا فِيْهَا مِنْ لَحمٍ، وَبَقِيَ هَيْكَلُهَا العَظْمِيُّ مُسَمَّرًا مُحْتَرِقًا، وَقَضَى البَطَلُ فَترَةَ عِلاجٍ حَتّى تَمّ شِفَاؤُهُ.



وَلأنَّهُ يَعْلَمُ أنّهُ مُستَجَابَ الدّعْوَةِ، فَقَدْ دَعَا اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ- بِدُعَاءٍ طَالَمَا كَانَ يَرْجُوهُ وَيَتَمَنّاهُ، وَهُوَ أنْ يَنَالَ الشّهَادَةَ، لِيَلْتَقِيَ بالأحِبّةِ؛ مُحَمَّدٍ ﷺ وَحِزْبِهِ، وَقَدْ كَانَ.





يَالَهُ مِنْ صَحَابِيٍّ شُجَاعٍ، استطَاعَ ضِمْنَ كَوْكَبَةٍ مِنْ صَنَادِيدِ الصّحابَةِ أنْ يتَصدَّى لجَيْشِ المُشرِكِيْنَ، وَأنْ يَكْسِرَ شَوْكَتَهُم وَيَرُدَّهُم عَلَى أدْبَارِهِم خَائِبِينَ مَرَّاتٍ عَدِيدةٍ، قَبْلَ أنْ تَدُورَ عَلَيهِمُ الدّائِرَةُ.

أمَّا المَعْرَكَةُ فَهِيَ إِحْدَى المَعَارِكِ الكُبْرَى الهَامّة فِي تَارِيخِ الإسلامِ، والتِي لا نَزَالُ نستَخْرِجُ مِنْهَا الدّرُوسَ والعِبَرَ حتّى زَمَانِنَا الحَالِي. وَأمّا الصَّحَابِي فَهُو عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ ﷺ .

إنَّهُ اللّقَاءُ الثَّانِي الذِي يَلتَقِي فِيهِ جَبْهَةَ الشِّرْكِ بِكُلِّ صَلَفِهَا وَبُغْضِهَا واحتِقَارِهَا للإسلامِ والمُسلِمِينَ. جَاءوا هَذِهِ المَرَّةِ يَحدُوهُم الأمَلُ فِي الانتِقَامِ وَالأخذِ بالثّأرِ.. جَاءوا لِيَستَعِيْدُوا كَرَامَتَهُم الذَّبِيْحَةَ يَومَ بَدْرٍ.

كَانَ للنِّسَاءِ النّصِيْبُ الأوْفَى فِي تَحْرِيْضِ الجَيْشِ وَتَسْعِيْرِهِ، وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ "صَخْرِ بنِ حَرْبٍ"، تُرِيْدُ أَنْ تشْفِيَ غَلِيْلِهَا وَتُشْبِعَ نَهَمَهَا مِنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَعَهَا رِبْطَةُ بِنْتُ مُنبه، زَوْجُ عَمْرو بنِ العَاصِ، وَسُلافَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَمَعَهَا زَوْجُهَا طَلْحَةُ؛ وَأوْلادُهَا الثَّلاثَةُ: "مسَافِعُ - كلاب - والجلاس"، وَنِسَاءٌ أُخْرَيَاتٌ يُمْسِكْنَ بِالدّفُوفِ وَيَنْشُدْنَ:

وَيهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارِ

إنَّهُم بَنُو عَبْدِ الدَّارِ المُوَكّلُونَ بِحَمْلِ الرّايَاتِ، وَلَقَدِ اسْتَطَاعَ أَبُو سُفْيَانَ "القَائِدُ العَامُّ لِجَيْشِ المُشْرِكِيْنَ" أَنْ يَسْتَفِزَّ غَضَبَهُم، قَائِلاً لَهُم:



يَا بَنِي عَبْدِ الدَّار، قَدْ وَلَّيْتُم لِوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُم، وَإِنَّمَا يُؤتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِم؛ إِذَا زَالَتْ زَالُوا، فَإِمَّا أَنْ تَكفونَا لِوَاءَنَا، وَإِمَّا أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَنَكْفِيْكُمُوهُ".

وَنَجَحَ أَبُو سُفْيَانَ فِي هَدَفِهِ؛ إِذِ اسْتَطَاعَ بِالفِعْلِ أَنْ يَسْتَفِزَّ الهِمَّةَ، حَتَّى أَنَّهُم تَوَاعَدُوهُ قَائِلِيْنَ: نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لِوَاءَنَا؟ سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَقَيْنَا كَيْفَ نَصْنَعُ.

وَقَدْ ثَبَتُوا - بِالفِعْلِ - عِنْدَ احْتِدَامِ المَعْرَكَةِ، حَتَّى أُبِيْدُو - أَوْ كَادُوا - عَنْ بَكْرَةِ أَبِيْهِمْ.

هَا هُنَّ النِّسَاءُ لا يَزَلْنَ يُقِمْنَ بِدُورِهِنَّ فِي سَعِيْرِ الحَرب، واستِفْزَازِ الرِّجَالِ، غَيْرَ أَنَّ سُلافَةَ بِنتَ سَعْدٍ قَدْ صُدِمَت فِي أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ.. صُدِمَتْ فِي زَوْجِهَا الذِي قُتِلَ، وَأولادِهَا الثّلاثَةِ: " مسَافِعُ - كلاب - الجلاسُ".. كَانَ لا يَزَالُ فِي الجلاس رَمَقٌ.. افتَرَشَتْ سُلافَةُ الأَرْضَ، وَوَضَعَتْ رَأسَ وَلَدِهَا فِي حِجْرِهَا، وَرَاحَتْ تَسْأَلُهُ: "مَنِ الذِي فَعَلَ بِكُم ذَلِكَ يَا وَلَدِي.. مَنْ؟"، فَقَالَ: إِنَّهُ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ، يَا أُمَّاهُ! نَعَمْ، كَانَ ذَلِكَ الصَّحَابِيَّ الشُّجَاعَ.

انتَفَضَتْ سُلافَةُ تَصْرُخُ مُعْلِنَةً: مَنْ يَأتِيْنِي بِرَأسِ عَاصِمٍ أَشْرَبُ فِيهِ الخَمْرَ، وَأَمْلأهُ لَهُ ذَهَبًا.

كَانَتْ تَوَدُّ الانْتِقَامَ بِأَبْشَعِ صُوَرِهِ، فَلا يَكْفِيْهَا مُجَرَّدُ القَتْلِ.. إِنَّهَا تَوَدُّ أَنْ تَشْرَبَ فِي قَحْفِ رَأْسِهِ الخَمْرَ لِيُطْفِئَ لَهِيْبَ لَوْعَتِهَا وَغَضَبِهَا.

وَانْتَشَرَ الخَبَرُ بَيْنَ الجَمِيْعِ!



وَتَمُرُّ الأَيَّامُ، وَفِي شَهْرِ صَفرٍ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ - أي: الرَّابِعَةُ مِنَ الهِجْرَةِ - يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ. عَاصِمَ بنَ ثَابِتٍ، عَلَى رَأْسِ نَفرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِلَى أُنَاسٍ يُعَلِّمُهُم الإِسْلامَ، وَيَقْرَأُ عَلَى أَسْمَاعِهِم القُرْآنَ، وَهُنَاكَ غَدَرَ بِهِمْ القَوْمُ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَاسْتَطَاعَ هُوَ أَنْ يَنْجُوَ، ثُمَّ تَبِعَهُ اثْنَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ، هُمَا: مرثد الغنوي، وَخَالِدُ اللّيْثِي. ظَلُّوا يُقَاتِلُونَ فِي شَجَاعَةٍ حَتَّى صَرَعُوا وَاحِدًا بَعْدَ الآخِرِ، أَمَّا الآخَرُونَ الذِيْنَ اسْتَسْلَمُوا لأَسْرِهِم وَهُمْ: "عَبْدُ اللهِ بنُ طَارِقٍ، وَزَيْدُ بنُ الدّثنةِ، وَخُبَيْبُ ابنُ عَدِي"، فَقَدْ غُدرَ بِهِمْ أَشَدَّ غَدْرَةٍ.

لَمْ يَبْقَ إِذَنْ إلا هَذَا الصَّحَابِيُّ الفَذُّ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ، والذِي اسْتَطَاعَ بِمُفرَدِهِ أنْ يَتَصَدَّى لَهُم جَمِيْعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَيْهِ، حَتَّى فَكَّرُوا فِي حِيْلَةٍ.

قَالُوا: لَنْ نَمْلِكَ القُدرَةَ عَلَى التّخَلُّصِ مِنْ هَذَا الصّنديْدِ إلا عَنْ بُعْدٍ! وَابْتَعَدُوا، وَرَاحُوا يُصَوِّبُونَ سِهَامَهُم نَحوَهُ، حَتَّى أَرْدَوهُ صَرِيعًا رضي الله عنه.



لَمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إلَى سُلافَةَ فَرِحَتْ، وَاستَعَدَّتْ لتَقْدِيمِ المُكَافَأةِ الجَزلَةِ، فَعَمّا قَلِيْلٍ سَيَتِمُّ قَطْعُ رَأسِهِ لِتَبرَّ بِقَسَمِهَا.

لَكِنَّ الصّحابِيَّ الجَلِيْلَ كَانَ قَدْ دَعَا رَبَّهُ قَائِلاً: "اللّهُمَّ إنِّي أَحْمِي لِدِيْنِكَ وَأُدَافِعُ عَنْهُ، فَاحْمِ لَحْمِي وَعَظْمِي، وَلا تُظْفِرْ بِهِمَا أَحَدًا مِنْ أَعْدَاءِ اللّه".

وَاسْتَجَابَ اللّه لِدُعَائِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الاقتِرَابَ مِنْ جَسَدِهِ؛ حَيْثُ إنَّ أَعْدادًا غَفِيْرَةً مِنَ النّحْلِ والزّنَابِيرِ كَانَتْ تُغَطّي هَذَا الجَسَدَ الطّاهِرَ، فَكُلَّمَا حَاوَلَ أَحدُهُم الاقْتِرَابَ، تَجَمَّعَ عَلَيْهِ النَّحْلُ وَرَاحَ يَلْدُغُهُ، فقَالُوا نَنْتَظِرُ حَتَّى المَسَاءِ، لِيَكُونَ النّحْلُ قَدْ عَادَ إلَى مَنَازِلِهِ.

وَفِي المَسَاءِ لَمْ يَجِدُوا الزّنَابِيرَ، وَلا أَيَّ أَثَرٍ لِلصّحَابِيِّ، فَقَدْ اخْتَفَى تَمَامًا، وَلا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ جَسَدُهُ رضي الله عنه .



ترجمان الرسول
زيـــد بـــن ثـابـــت

كَانَتِ "النَّوَّارُ بِنْتُ مَالِكٍ" تَجْلِسُ فِي بَيْتِهَا تَتَرَقَّبُ مَجِيءَ صَغِيْرِهَا، وَلَمَّا دَخَلَ قَفَزَتْ إِلَيْهِ فِي شَوْقٍ وَلَهْفَةٍ، وَرَاحَتْ تَسْأَلُهُ عَمَّا سَمِعَهُ فِي مَجْلِسِ النُّوْرِ. ابْتَسَمَ وَهَزَّ رَأْسَهُ ثُمَّ جَلَسَ يَسْرِدُ عَلَيْهَا كُلَّ مَا دَارَ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَتْ لَهُ: هَلْ حَفظْتَ شَيْئًا جَدِيْدًا؟

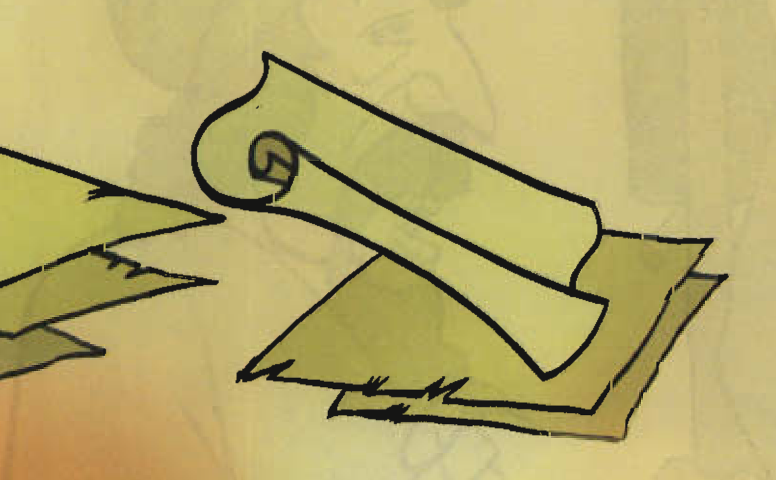
أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ عَلامَةَ الإِيْجَابِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِصَوْتِهِ العَذْبِ، كَأَنَّهُ البُلْبُلُ الشَّادِي، يَتْلُو عَلَيْهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ سَمِعَهَا لِتَوِّهِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ. كَانَتِ الكَلِمَاتُ النُّورَانِيَّةُ تَنْبَثِقُ مِنَ الفَمِ الصَّغِيْرِ تَتَلأْلأُ فِي فَضَاءِ الحُجْرَةِ، لِتَمْلأَ البَيْتَ سَكِيْنَةً وَأَمْنًا، قَالَ لَهَا: إِنَّنِي أَتَشَوَّقُ لِلجِهَادِ يَا أُمِّي، فَلَطَالَمَا سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ وَهُوَ يَمْتَدِحُ المجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَيُبَشِّرُ الشُّهَدَاءَ مِنْهُمْ بِالجَنَّةِ. كَمْ أَتَمَنَّى أَنْ أَحْمِلَ سِلاحًا لأُدَافِعَ بِهِ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ، أُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ المشْرِكِيْنَ الّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ دِيْنَ اللهِ.

وَرَاحَ الصَّغِيْرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ إِصْرَارِهِ عَلَى الجِهَادِ، وَدِفَاعِهِ عَنِ الإِسْلامِ وَالمسْلِمِيْنَ، حَتَّى امْتَلأَ قَلْبُ الأُمِّ بِالحَمَاسِ، فَانْدَفَعَتْ إِلَى الدَّاخِلِ ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهِ وَفِي يَدِهَا سَيْفٌ يَلْمَعُ، يَكَادُ بَرِيْقُهُ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ..

قَالَتْ لَهُ: هَيَّا إِذَنْ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِ ابْنِهَا ﷺ وَذَهَبَا سَوِيًّا إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ اسْتَوْقَفَتْهُ، وَكَانَ يَسْتَعِدُّ لِغَزْوَةِ بَدْرٍ، قَدَّمَتْ وَلَدَهَا إِلَى النّبِيِّ ﷺ وَكُلُّهَا أَمَلٌ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ ضِمْنَ هَؤُلاءِ المجَاهِدِيْنَ.

نَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَابْتَسَمَ؛ فَقَدْ كَانَ السَّيْفُ الّذِي يَحْمِلُهُ الصَّغِيْرُ أَطْوَلَ مِنْ قَامَتِهِ.

مَسَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِرِفْقٍ عَلَى رَأْسِهِ، وَرَدَّهُ رَدًّا جَمِيْلاً بَعْدَ أَنْ طَيَّبَ خَاطِرَهُ بِبَعْضِ الكَلِمَاتِ.



عَادَ رضي الله عنه إِلَى بَيْتِهِ يُفَكِّرُ، مَا الّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ فَيَنَالَ رِضَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَيَتَقرَّبَ بِهِ إِلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ إِلا الانْكِبَابَ عَلَى التَّعلُّمِ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُجِيْدَ القِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، والابْنُ لا يَزَالُ يَكْتُبُ، وَيُحْسِنُ مِنْ إِجَادَتِهِ لِلخَطِّ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ، ذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ وَقَالَ لَهَا: أُمَّاهُ، لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي وَسِيْلَةٍ أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصِيْرَ مُلازِمًا لَهُ، كَمَا أَنَّنِي سَأُقَدِّمُ خِدْمَةً جَلِيْلَةً لِدِيْنِ اللهِ، عَسَى أَنْ أَنَالَ عَلَيْهَا الأَجْرَ العَظِيْمَ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ. نَظَرَتِ الأُمُّ إِلَى وَلَدِهَا وَقَدْ تَمَلَّكَتْهَا الدَّهْشَةُ، وَأَخْبَرَهَا الابْنُ بِفِكْرَتِهِ، فَأَعْجَبَتْهَا وَتَمَنَّتْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا، وَهِي تَدْعُو اللهَ أَنْ تَنَالَ الفِكْرَةُ رِضَا النَّبِيِّ ﷺ.

حَدَّثَتِ "النَّوَّارُ" رِجَالاً مِنْ قَوْمِهَا بِرَغْبَةِ الغُلامِ، وَذَكَرَتْ لَهُمْ فِكْرَتَهُ، فَمَضَوا بِهِ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذَا ابْنُنَا زَيْدٌ يَحْفَظُ سَبْعَ عَشْرَةَ سُوْرَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَيَتْلُوْهَا صَحِيْحَةً كَمَا أُنْزِلَتْ عَلَى قَلْبِكَ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ حَاذِقٌ، يُجِيْدُ الكِتَابَةَ وَالقِرَاءَةَ، وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِذَلِكَ إِلَيْكَ، وَأَنْ يَلْزَمَكَ، فَاسْمَعْ مِنْهُ إِذَا شِئْتَ.



وَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ رَاحَ يَخْتَبِرُهُ، فَإِذَا بِالغُلَامِ يَقْرَأُ آيَاتِ اللهِ غَضَّةً طَرِيَّةً كَمَا سَمِعَهَا مِنْ فَمِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ، قِرَاءَةً صَحِيْحَةً، لا يَشُوْبُهَا شَائِبَةٌ. ابْتَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

وَبَعْدَ أَيَامٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَكَلَّفَهُ بِكِتَابَةِ الوَحْيِ، بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ، فَصَارَ الغُلَامُ أَحَدَ الذِيْنَ يُلازِمُوْنَ النَّبِيَّ ﷺ يَسْمَعُ القُرْآنَ مِنْ فَمِ النَّبِيِّ غَضًّا ثُمَّ يَكْتُبُهُ، وَقَدْ أَحَسَّ النَّبِيُّ ﷺ بِذَكَاءِ الغُلَامِ وَمَوَاهِبِهِ، فَقَالَ لَهُ: "تَعَلَّمْ لِي كِتَابَةَ اليَهُوْدِ؛ فَإِنِي لا آمَنُهُمْ عَلَى مَا أَقُوْلُ". فَقَالَ عَلَى الفَوْرِ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ.

وَأَكَبَّ مِنْ تَوِّهِ عَلَى العِبْرِيَّةِ حَتَّى أَجَادَهَا فِي وَقْتٍ يَسِيْرٍ، وَجَعَلَ يَكْتُبُهَا لِرَسُوْلِ اللهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ لِلْيَهُوْدِ، وَيَقْرَؤُهَا لَهُ إِذَا هُمْ كَتَبُوا إِلَيْهِ.

ثُمَّ تَعَلَّمَ رضي الله عنه السِّرْيَانِيَّةَ بِأَمْرٍ مِنْهُ ﷺ وَهِيَ لُغَةٌ كَانَتْ مُنْتَشِرَةً بَيْنَ الكَثِيْرِ مِنَ القَبَائِلِ، وَلَقِيَ رَسُوْلُ اللهِ رَبَّهُ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.



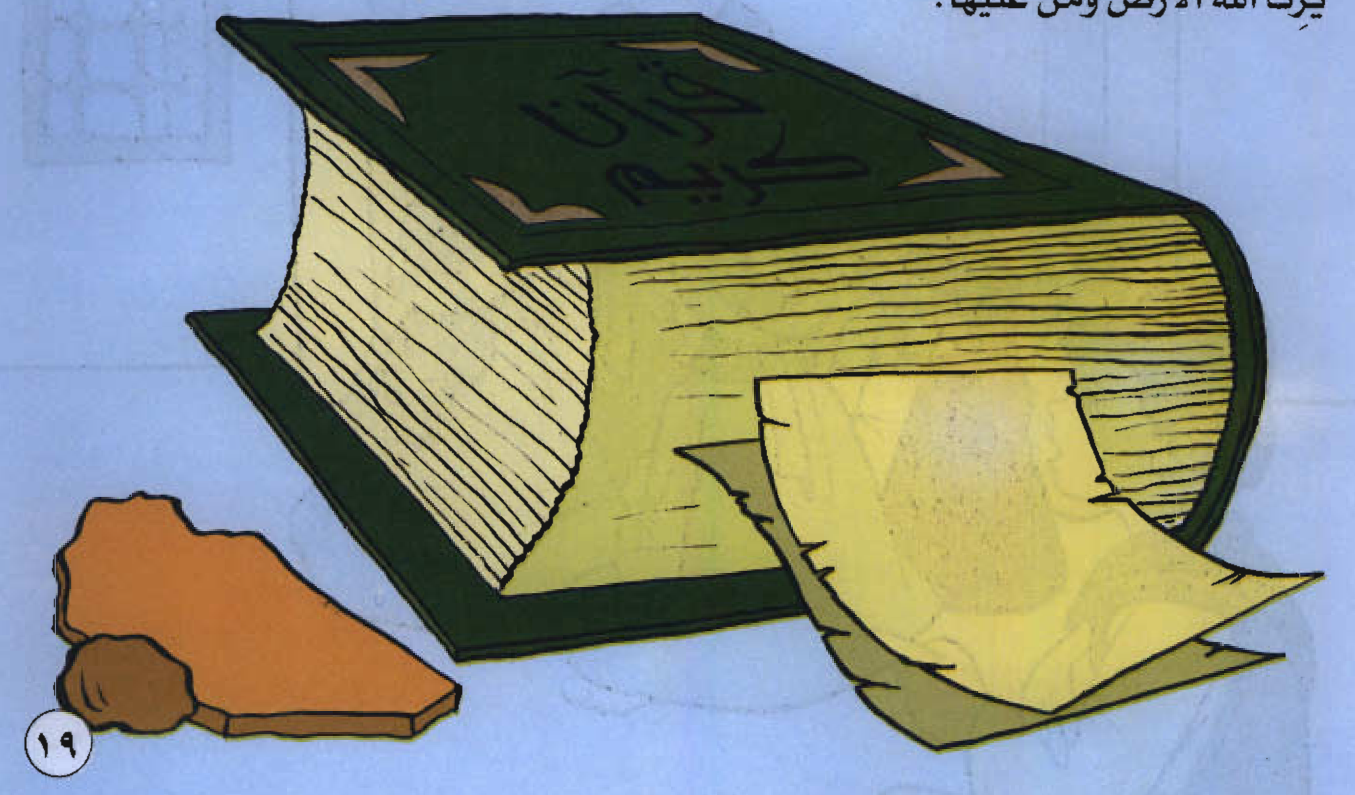
لَمْ يَنْتَهِ دَوْرُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ ﷺ فَكَانَ لَهُ أَعْظَمُ الأَثَرِ فِي دَرْءِ الفِتْنَةِ وَوَأْدِهَا فِي مَكَانِهَا، حِيْنَ اجْتَمَعَ المهَاجِرُوْنَ وَالأَنْصَارُ تَحْتَ السَّقِيْفَةِ وَاخْتَلَفُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ أَيُّ جَمَاعَةٍ تَصْلُحُ لأَنْ تُعَيِّنَ خَلِيْفَةً، وَكَانَ الأَنْصَارُ يَرَوْنَ أَنَّ لَهُمُ الحَقَّ فِي تَنْصِيْبِ خَلِيْفَةٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ، بَيْنَمَا المهَاجِرُوْنَ يَرَوْنَ أَنَّ الحَقَّ بِجَانِبِهِمْ، هُنَالِكَ حَزَمَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ الأَمْرَ، وَقَالَ كَلِمَةَ الحَقِّ الَّتِي هَدَّأَتِ النُّفُوْسَ، وَجَمَعَتِ الفَرِيْقَانِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ كَانَ مِنَ المهَاجِرِيْنَ؛ فَيَكُوْنَ خَلِيْفَتُهُ مُهَاجِرًا مِثْلَهُ.

وإِنَّا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُوْلِ اللهِ؛ فَنَكُوْنَ أَنْصَارًا لِخَلِيْفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَعْوَانًا لَهُ عَلَى الحَقِّ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ: "هَذَا خَلِيْفَتُكُمْ فَبَايِعُوْهُ".

وَلَمَّا تَوَلَّى الصِّدِّيْقُ الخِلافَةَ، وَحَدَثَ مَا حَدَثَ مِنَ الفِتْنَةِ، وَقُتِلَ مِنَ المسْلِمِيْنَ نَفَرٌ كَثِيْرٌ، اجْتَمَعَ رَأْيُهُ مَعَ رَأْيِ عُمَرَ فِي جَمْعِ القُرْآنِ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ، وَاسْتَطَاعَا أَنْ يُقْنِعَا هَذَا الصَّحَابِيَّ، فَقَامَ بِجَمْعِهِ بَعْدَ جَهْدٍ شَاقٍّ كَانَ أَهْوَنَ مِنْهُ نَقْلُ الجَبَلِ مِنْ مَكَانِهِ حَجَرًا حَجَرًا، لَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ لِهَذَا العَمَلِ المُضْنِي الشَّاقِّ.

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ جَهْدُهُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلِ اسْتَعَانَ بِهِ الخَلِيْفَةُ الرَّاشِدُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي تَوْحِيْدِ المُصْحَفِ المَوْجُوْدِ عِنْدَ السَّيِّدَةِ حَفْصَةَ.

لَقَدْ كَانَ بِحَقٍّ ﷺ مَنَارَةَ الإِسْلامِ، وَأَعْمَالُهُ العَظِيْمَةُ الجَلِيْلَةُ سَتَظَلُّ دَائِمًا خَالِدَةً إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.



حبر الأمة
عبد الله بن عباس

هَذَا صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، صَدَقَتْ فِيهِ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَصَارَ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الصَّحَابَةِ، فَرَغْمَ أَنَّهُ مِنْ أَصْغَرِهِمْ سِنًّا إِلَّا أَنَّ اسْمَهُ - فِي زَمَانِهِ - كَانَ يَلْمَعُ فِى سَمَاءِ الإِسْلَامِ لَمَعَانَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ.

إِنَّهُ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ : عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيّ ..

وُلِدَ بِمَكَّةَ بَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ بِالشِّعْبِ مِنْ مَكَّةَ. فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ فَحَنَّكَهُ بِرِيقِهِ. وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

وَلَقَدْ مَاتَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسَ لَمْ يَتَجَاوَزْ الثَّالِثَةَ عَشَرَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ قِصَرِ الْفَتْرَةِ الَّتِى صَاحَبَ فِيهَا النَّبِىَّ ﷺ إِلَّا أَنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْهُ الْكَثِيرَ ؛فَقَدْ كَانَ ذَكِيًّا فَطِنًا وَلَمْ يُضِعْ لَحْظَةً وَاحِدَةً مِنْ طُفُولَتِهِ هَبَاءً، كَانَ مُلازِمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ مُلازَمَةَ الْمَاءِ لِلْعُودِ الأَخْضَرِ، لَمْ يُفَارِقْهُ لَحْظَةً، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَنَالَ مِنْ خَيْرِ جُودِهِ وَعِلْمِهِ الْكَثِيرَ.



وَلَقَدْ شَعَرَ بِهِ النَّبِىُّ ﷺ وَعَرَفَ مَدَى اهْتِمَامَهُ بِالْعِلْمِ، فَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"..

وَهُوَ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ النَّبِىِّ ﷺ لَهُ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَ لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ نَبِيِّهِمْ أَلْفًا وَسِتُّمِائَةً وَسِتِّينَ حَدِيثًا أَثْبَتَهَا الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمُ فِى صَحِيحَيْهِمَ، وَهَلْ بَعْدَ ابْتِلاعِهِ لِرِيقِ النَّبِىِّ ﷺ. وَهُوَ أَوَّلُ مَا دَخَلَ جَوْفِهِ. إِلاَّ الْخَيْرُ.. وَهَلْ بَعْدَ رِضَى النَّبِىِّ ﷺ عَنْهُ وَدُعَائِهِ لَهُ إِلاَّ الْخَيْرُ..؟؟

كَانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يُعِدُّ مَاءَ الْوُضُوءِ لِلنَّبِىِّ ، وَيُصَلِّى خَلْفَهُ إِذَا وَقَفَ لِلصَّلاةِ، وَيَكُونُ رَدِيفَهُ - يَرْكَبُ خَلْفَهُ عَلَى الدَّابَّةِ - إِذَا عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ.

يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: " هَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْوُضُوءِ ذَاتَ مَرَّةٍ، فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَعْدَدْتُ لَهُ الْمَاءَ، فَسُرَّ بِمَا صَنَعْتُ. وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلاةِ أَشَارَ إِلَىَّ أَنْ أَقِفَ بِإِزَائِهِ فَوَقَفْتُ خَلْفَهُ. فَلَمَّا انْتَهَتْ الصَّلاةُ مَالَ عَلَىَّ وَقَالَ: " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ بِإِزَائِي يَا عَبْدَ اللهِ؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَجَلُّ فِى عَيْنِى وَأَعَزُّ مِنْ أَنْ أُوَازِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ آتِهِ الْحِكْمَةَ ".



وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَارَ ابْنُ عَبَّاسَ رضي الله عنه يُؤْتَى الْحِكْمَةَ، وَقَدْ تَجَلَّتْ حِكْمَتُهُ وَعِلْمُهُ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ .

عَلِمَ ابْنُ عَبَّاسَ أَنَّهُ مَا خُلِقَ إِلاَّ لِلْعِلْمِ، وَأَنَّ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتْمًا سَتُصِيبُهُ. فَكَانَ يَجْتَهِدُ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.. وَطَلَبِ الْعِلْمِ. لَمْ يَكْتَفِ بِمَا حَصَّلَهُ عَلَى مَدَارِ الثَّلاثَةَ عَشَرَ عَامًا. بَلْ كَانَ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ. يَسْأَلُ هَذَا وَذَاكَ.

يَقُولُ رضي الله عنه : كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ الأَمْرِ الْوَاحِدِ ثَلاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

كَمَا يُصَوِّرُ لَنَا اجْتِهَادَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَيَقُولُ رضي الله عنه : " لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ لِفَتًى مِنَ الأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسَ !!، أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِيهِمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ مَا تَرَى؟

فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ أَنَا أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ. فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنْ الرَّجُلِ، فَآتِي إِلَيْهِ وَهُوَ قَائِلٌ (نَائِمٌ) فِي الظَّهِيرَةِ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، يُلْقِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ مَقِيلِهِ وَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلاَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيكَ؟



فَأَقُولُ : لا، أَنْتَ أَحَقُّ بِأَنْ أَسْعَى إِلَيْكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنْ الْحَدِيثِ وَأَتَعَلَّمُ مِنْهُ."

وَلَقَدْ بَلَغَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يُقَدِّمُهُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيُدْنِيهِ مِنْهُ.. وَلَمَّا سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ يَوْمًا كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ عَبَّاسَ؟! أَجَابَ: "بِلِسَانٍ سَئُوْلٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ".

وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسَ مِنْ مَكَانَةٍ سَامِيَةٍ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ التَّوَاضُعِ، يَمْتَلِكُ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْكَرَمِ الَّذِى لا نَظِيرَ لَهُ.. حَتَّى قَالُوا عنهُ: "مَا رَأَيْنَا بَيْتًا أَكْثَرَ طَعَامًا، وَلا شَرَابًا، وَلا فَاكِهَةً وَلا عِلْمًا مِنْ بَيْتِ ابْنِ عَبَّاسَ" فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ الْقَلْبُ النَّاصِعُ، النَّقِىُّ، الَّذِى كَانَ يُحِبُّ النَّاسَ جَمِيعًا وَيَتَمَنَّى لَهُمُ الْخَيْرَ. وَكَانَ يَقُولُ: "إِنِّى لآتِى عَلَى الآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَأَوَدُّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا عَلِمُوا مِثْلَ الَّذِى أَعْلَمُ..

ظَلَّ ابْنُ عَبَّاسَ يَعْمَلُ قُصَارَى طَاقَتِهِ فِى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَنَشْرِ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَصَارَ عَلَى يَدَيْهِ تَلامِيذُ أَصْبَحُوا مِنْ بَعْدِهِ أَئِمَّةً وَرُءُوسًا لِلْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، أَمَّا هُو فَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فِى آخِرِ عُمْرِهِ. وَفِى عَامِهِ الْحَادِى وَالسَّبْعِينَ صَعِدَتْ رُوحُهُ الطَّيِّبَةُ الطَّاهِرَةُ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. وَدُفِنَ فِى مَدِينَةِ الطَّائِفِ سَنَةَ ٦٨هـ.



اختبر معلوماتك

- ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وخطأ أمام العبارة الخاطئة

زيد بن ثابت كان يجيد تلاوة القرآن والكتابة والقراءة ( )
البراء بن مالك الأنصارى كان مستجاب الدعوة ( )
طلب الرسول من زيد بن ثابت أن يتعلم الفارسية ( )
معاذ بن جبل وجهه الرسول إلى الشام ليعلمهم دين الله ( )
استطاع عبد الله بن عباس أن يحفظ ألفا وستمائة وستين حديثا ( )

***

- كان معاذ بن جبل أشبه الصحابة بـ ...

سيدنا يوسف عليه السلام
سيدنا موسى عليه السلام
سيدنا إبراهيم عليه السلام

***

- استطاع الصحابى عاصم بن ثابت أن يتصدى لجيش المشركين فى غزوة ...

بدر
أحد
الخندق

***

- أين ولد عبد الله بن عباس؟

فى مكة
فى الشام
فى المدينة

***